



# شعيرة المكان في شعر محمد بن يحيى الهاشمي البغدادي

شعيرة المكان في شعر محمد

بن يحيى الهاشمي البغدادي

١٨٩٨ - ١٩٧٣ م

أ.د. أحمد شاكر غضيب

جامعة الإمام الصادق - فرع الخالص

أ.م.د. مها أسعد عبد الحميد

الجامعة العراقية - كلية التربية للبنات

## مستخلص

شاعرٌ من بغداد، عانى الغربةَ، فسكنت بغداد بمعالمها التاريخية وشواطئها وأهلها في قلبه، إنه محمد بن يحيى الهاشمي، وُلد في بغداد سنة ١٨٩٨م وعانى الغربةَ متنقلاً في بلدان الوطن العربي، من منفى الى منفى آخر حتى انتهى به المقام في بغداد حاكماً في محكمة التمييز عام ١٩٦١م، وتوفي في ٩/١١/١٩٧٣م.

إنَّ هذا البحث يقف عند شعرية المكان في شعره، بغداد وضافها والقاهرة وأهلها، وقد تحسسنا معه ما يُسمى بالاعتراب المكاني في شعره، وهذا ما سيقف عليه البحث، بإذنه تعالى.

## Abstract

A poet from Baghdad, who had suffered from alienation, then Baghdad had been lived in his heart by its historical places, coastlines and people. He was born in Baghdad in 1898 A.C and he was suffered from alienation by his travelling throughout the Arab countries, from exile to exile, till his final residence in Baghdad as a court's ruler in 1961. He was died in 9/11/1973.

This research stands on the poetic location in his poetry, Baghdad's coastlines and Cairo's people; therefore, we have been still feeling what's called as the locational alienation in his poetry, and this is exactly what will be focused on during this research in God's will.

## المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وإمام المهتدين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد: محمد بن يحيى الملقب بالسيد المطرود بن بكير بن محمد الحسيني (ت ١٩٧٣م) شاعرٌ عانى الغربةَ والتنقل من قطر الى آخر، وهو ممنُ اشترك بالثورة التي قادها الملك حسين بن علي عام (١٩١٦م)، لم تغرب بغداد بآثارها وضافها وجمال وديانها عن فكره طيلة تغربه في أفطار عدة فرسمها في شعره وخلّد جمالها الأخاذ.

أهمية البحث: تتمثل أهميته في الكشف عن شعرية المكان عند الشاعر.

مشكلة البحث: قلة مَنْ كتب عنه.

## بعض الكلمات المفتاحية:

١- شعرية المكان: هي الطريقة الإبداعية التي تتمثل في طرق الانزياح واستعمال المجاز

لخلق التصوير الفني.

٢- الاغتراب المكاني: وهو شعور المبدع (الشاعر أو الكاتب) بوطنه بعد غربته عنه،

فيناجيه وهو بعيد عنه مما يخلق هاجساً لديه.

## حدود الدراسة:

أ- الحد المكاني: بغداد وجمالها ومشاهد آثارها (الباب الوسطاني)، ومصر ونيها وجلساته .

ب- الحد الزمني: مده تغربه كما يكشفها البحث.

بعض المصادر والمراجع التي سيعتمدها البحث: يقف في هذه الدراسة (ديوان الشاعر) جمع

وإعداد الدكتور عبد الله الجبوري. وكتاب (الحيوان) للجاحظ عمرو بن بحر بن محبوب البصري

(ت ٢٥٥هـ/٨٦٩م)، وديوان لبيد بن ربيعة العامري وهو من تحقيق الدكتور إحسان عباس.

وكتاب (دلائل الإعجاز) للجرجاني، عبد القادر وغيرها. أما كتب المراجع الحديثة فمنها كتب

تراجم الرجال مثل كتاب (الأعلام) للزركلي، خير الله. ومنها كتب الدراسات الشعرية مثل

كتاب (الاتجاه الوجداني في الشعر المعاصر) للدكتور عبد القادر القط. وكتاب (الرومنطيقية)

للدكتور محمد غنيمي هلال. وكتاب (مبادئ النقد الأدبي) أ.أ. رتشاردز وما الى ذلك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

**التمهید: حياة الشاعر**

محمد بن يحيى الملقب بالسيد مطرود بن بكير بن محمد بن الشيخ علوان الحموي الهيتي وهو من أحفاد الشيخ العلواني، الحسيني الذي عرف بالتقوى والورع<sup>(١)</sup> ووالده ممن اشتهر بيته بـ(ال مطرود) في كرخ بغداد وهو ممن اشتغل في الفقه الإسلامي والتصوف وكانت وفاته ببغداد سنة ١٩٠٥م<sup>(٢)</sup>.

ولد الشاعر السيد محمد الهاشمي في محلة الشيخ صندل، في كرخ بغداد سنة ١٨٩٨م في بيت بني علي الدين والتقوى وحب العلم والأدب وأكمل دراسته الأولية في مدارس بغداد ((ابتدائي ورشدي \_ الثانوي)).

درس على يد السيد علي علاء الدين الآلوسي (ت - ١٩٢٢) وعلى يد الأمام السيد محمود شكري الآلوسي ثم درس في الجامعة المصرية وترك الدراسة فيها مسافرا الى دمشق وهناك تعلم الفرنسية على يد الشيخ عبد القادر المغربي ثم عاد الى القاهرة وعمل في مجال الصحافة، وعند تأسيس الحكم الفيصلي في ديار الشام سافر الى دمشق وقامت الحكومة بطبع أول ديوان له ((عبرات الغريب)) وعند سقوط الحكم الفيصلي نفي مع من نفي من العراق الى ((أرواد)) وبقي فيها (١٠٠ يوم) ثم أفرج عنه عائدا الى بغداد وكان ممن اشترك في الثورة العربية التي قادها الملك حسين بن علي (١٩١٦م) وانتهى به المقام بعد غربته ومنفاه الى بغداد حيث التحق بكلية الحقوق العراقية (١٩٢١م) وتخرج منها (١٩٢٤م) فراح يعمل في القضاء في بغداد والبصرة وعلي الغربي والكويت حتى أصبح حاكما في محكمة تمييز العراق حتى ١٩٦١م وتوفي في يوم الجمعة، ٩/١١/١٩٧٣م ودفن في مقبرة الشيخ معروف الكرخي في بغداد<sup>(٣)</sup>.

لقد عاشت بغداد في قلب الشاعر، عاش أحداثها، ونفي الى الأصقاع النائية من أجلها فكان شعره سجلا تاريخيا يتحدث عن أخبارها وأثارها ورموزها.

**المبحث الأول****شعرية المكان في وصف باب بغداد الوسطاني من خلال شعره**

**توطئة:** تحسس الجاحظ قديما مفهوم الصورة حين عدّ الشعر جنس من التصوير<sup>(٤)</sup>، واهتم عبد القاهر الجرجاني بالصورة من خلال تمثيله إياها بهيئة الخاتم فليس العبرة في مادة الذهب وإنما بصورة هذا الخاتم<sup>(٥)</sup> أي صياغته إذ ((ان المعنى موجود قبل التعبير عنه، وان الخلاف بينه قبل



وبعد التعبير، محصور فيما يحدث فيه من تحسين وتزيين، أو خصوصية وتأثير. هذا التحسين أو التزيين يسمى ايجازاً، أو توكيداً، أو قصراً أو تقديماً وتأخيراً، كما يسمى في احيان أخرى مجازاً أو تشبيهاً، أو استعارة أو كناية وبالجملة ما نسميه نحن بالصورة الفنية<sup>(٦)</sup>، ومن هنا فالمجازة - كما يذكرها جان كوين- هي الخطوة الأولى في بناء الصورة وان الصورة هي التي تكون الشاعرية وان وظيفتها هي التكتيف، فالشعرية هي تكتيفية اللغة وانها لا تغير محتوى المعنى، وإنما تغير شكله<sup>(٧)</sup>.

خطط الشاعر مشاهد بغداد وآثارها من خلال الرسم بالكلمات فبلغت الشعرية عنده مبلغاً من خلال (الإنزياح) الذي توسد تراكيبه الشعرية التي أفصحت عن حب شاخص في فؤاده فهو على الرغم من المعاناة والمنفى تبقى بغداد (قبل النبض) و(قبل تنفس الرئة الهواء)

وقبل وجود نفسي في وجود وقبل بقاء مهجتها بقاء  
ومن عتبي جنايته علينا رضاه وبخله عنا سخاء  
ويعجبني مروجك والروابي وفقرك والمدينة والجواء  
ويعجبني قصورك والعلالي وكوخك والخرابة والبناء<sup>(٨)</sup>

لم يفت هذا الشاعر دقائق التصوير فقد وقف عند حضارة بغداد، بساتينها، نخلها، دجلتها، بابها الوسطاني الموجود حالياً في منطقة الشيخ عمر السهروردي، في جانب الرصافة.

#### تصوير باب بغداد الوسطاني

وما ان نتأمل قصيدته (الباب الوسطاني)<sup>(٩)</sup> وهو احد أبواب بغداد القديمة، والموجودة حالياً في منطقة الشيخ عمر السهروردي في جانب الرصافة حتى نجد امكانية فذة في مخاطبة هذا الباب وكأنني بالشاعر القديم ينبعث من جديد ليقف عند أطلال من يحب باكياً ولهذا تسرب اليه العديد من ألفاظ بناء القصيدة العربية الطللية

مرت عليك تصاريف وأهوال حتى خلوت فأنت اليوم أطلال

كم لي ببابك أحوال ومنتحبلو كان ينفع في الآثار احوال

والحقيقة ان هذه الافتتاحية التي تصور طللية المشهد اعتمدت على تلازم الأصالة والمعاصرة فالشاعر ابن مجتمعه وتراثه وعلى الرغم من ان المقدمة الطللية لشعر ما قبل الإسلام تمثل تقليداً شعرياً كلاسيكياً إلا انا لا نشعر حين تتسرب الى هذا الشاعر بتكفلها أو ثقلها،

بل نحس ان الشاعر بث فيها الحياة ونهض بها ليعبر عن خراب هذا المعقل البغدادي الأصيل الذي يعبر عن حضارة العراقيين القديمة في البناء.

ان الشاعر يتخذ من هذا المعلم الحضاري وما حل به سبيلا وعظيا تذكريا لما كان وما سيكون مذكرا الأجيال بمقولة الشاعر لبيد بن ربيعة العامري (وتبقى الجبال بعدنا والمصانع)<sup>(١٠)</sup>، ولهذا صرح بهذه الحقيقة حين قال:

ان لم تجب سائلا عن معشر هلكوا فأنت كلك اخبار وأقوال

...

خالوا الليالي والأيام تسعفهميوم الممات لا ظنوا ولا خالوا

وحين يشهد هذا الشاعر هذا الصرح يخاطبه:

عليك آيات إجلال تبين لنا من المباني وفي التفصيل إجمال

وفي أعاليك ما تكفي دلالتلهعلى المعالي ولا قيل ولا قال<sup>(١١)</sup>

حقا ان ظاهرة البكاء على الأطلال والآثار تستهدف إثارة ذكرى الأحياء أو القدامى من العظماء<sup>(١٢)</sup>.

إن هذا الصرح الإعلامي الذي يشير الى حضارة بغداد وما مر بها من أحداث وخطوب يدفع بالشاعر الى تداعي الذكريات والمشاهد فتغدو القصيدة عنده بناءً فنيا يتوسد أطرافها الحدث التاريخي وهو حين يوظف التاريخ أو أعلامه لم يفعل مثلما يفعل المؤرخ بل يستخدم الحادثة التاريخية بذكاء فني يدفع بأبياته الى التأثير بسامعيه واضعا الصياغة الفنية الإبداعية التي تمتزج بمشاركته الوجدانية نصب عينيه اذ هو يحقق من خلال التغني بها كثيرا من طموحه الذي يعجز عن بلوغه في مجتمعه ولحظته الحاضرة<sup>(١٣)</sup>.

كأنني بك والخيل الجياد لها من حول ركنيك أهزاج وأرمال

و للرشيد لواء يستظل به تساق من خلفه جند وأبطال

وللسلاح صليل فوق رؤسهم وللغار وراء القوم أذيال

كأنني بك والمأمون منقلباليك والخيل أرجال فأرجال

والناس تنظر والأبصار شاخصة والخيل تعرض والأثقال والمال<sup>(١٤)</sup>

إن هذا المشهد الحركي الذي جعل الصورة الفنية تزدان بالحركة والحيوية هو مشهد راسخ في الذاكرة الجمعية التي جعلت الشاعر يبعثه من جديد ليحفز النشأ على تذكر أمجاد الأمة وقوتها.

وهنا نجد ان القصيدة تحولت عند الشاعر من الطللية الى الدعوة للنهوض بمجد لا زال شاخصا في عقل الأمة وكأني بالشاعر رفض استكانة هذا الصرح وركونه الى الطللية التي تعني الانتهاء وزوال الأشياء.

لقد عمل الشاعر على بث الحياة في هذا الصرح كأنه يشهده في عصر أبي جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٣-٧٧٥م) والرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٧-٨٠٩م)، وبهذا أحياه ونهض به للعيان شاخصا على الحضارة العباسية ومن هنا تتحول القصيدة الى معلم حضاري لا تؤثر فيه ظروف الدهر وعادياته.

إن أصالة هذا الشاعر تتمثل في بعث صوت أبي تمام والمنتبي في عصر المخترعات والحدائث ولكنه بثوب عصري تجسد في وصف هذا الصرح الشامخ وكأني به في تراكيبه الشعرية هذه\_ شاعر عباسي بعث في العصر الحديث والا فأن النسيج الإبداعي لهذه الأبيات لا يختلف في فنيته عن الديباج الخسرواني العباسي.

لقد أفصحت مشاعر هذا البغدادي عن حب لمجد دائر عكس من خلاله الأحساس بأهمية بعث هذا المجد في عصره ولهذا حول قصيدته الى صفحة من صفحات تذكر ماضي الأمة ومجدها التليد المائل في حضارة بغداد ومن هنا تأتي فكرة (الالتزام) التي أحس بضرورتها الشاعر وهو يكتب أبياته هذه ولهذا جاءت الأبيات التي بعد هذا المشهد بكاء لمجد آتل أحس بضرورة التذكير به

أطوف فيك وأستبكيك من كمد

من الأسى ولغيري فيك أشغال

مذ أخلقتك الليالي في تقلبها

وغيرت منك أ بكر وأصال<sup>(١٥)</sup>

وبعد هذا امتلك هذا الشاعر عينا سحرية وقف من خلالها على تصوير أدق أجزاء هذا

الباب مازجا ذلك بأحاسيسه التي تحس بفجيعه الزوال والاندثار

الباب باق، وبعض الباب مندرس

منه الطول ومن حويله اهجال

هنا نواحيك تأبى ان تكلمنا

ونحن في دارس الأطلال سؤال<sup>(١٦)</sup>

وما أريد أن أقف عنده هنا هو قوله مخاطبا هذا الباب (هنا نواحيك تأبى أن تكلمنا)، فهذا التركيب الشعري الذي منح الحياة لهذا الأثر الحضاري في سمة التكلم وعدمه على سبيل المجاز يفصح عن ان الشاعر كان يحس ان هذا الأثر قد جافى أبنائه لعدم الاهتمام به والنهوض به عمرانيا لهذا قال (تأبى ان تكلمنا) خصوصا وان عجز البيت فيه سؤال الشاعر في دارس الأطلال عما أحل به ومن هنا جاء قوله بعد ذلك

يبقى البناء ولا يبقى البناء كما

تبقى من الشعب بعد الشعب أعمال<sup>(١٧)</sup>

وهذا أحساس حقيقي بضرورة الديمومة والبناء والتواصل الحضاري فصروح الأمة الشاهد على حضارتها وديمومتها.

ويسوقه هذا البيت الى تذكر ما حاق بالأمة من أحداث ومؤامرات وكيف اطمأن خلفاء

بني العباس للمقربين من أعداء الأمة

حفظت عهد رجال أسسوك فما

للعهد نكث ولا للحفظ أغفال

ثم اطمأنوا الى من يمكرون بهم

كما اطمأنت الى الاساد أوعال

فأسترسلوا في أمور الملك فانهدمت

عروشهم فتولى الملك أرذال<sup>(١٨)</sup>

والحقيقة ان هذه الأبيات تختصر تأريخا من المؤامرات والأحداث التي مرت بها الأمة في عهدها الذهبي الرشيد ولهذا يضع الشاعر في نهاية قصيدته اللعنة على ابن العلقمي الذي كاتب التتر وأطمعهم في بغداد، وكان سلطانهم هولاء وكان الخليفة العباسي اذاك المستعصم بالله فسقطت في ايديهم سنة ٦٥٦ للهجرة

ما كان اغنى عن ابن العلقمي ولا

عن قومه انه في الملك يحتال

جنى على نفسه ذلا ومنقصة

فراح يصحبه عار وإذلال

ذاق الخسار فلا مال ولا وطن

ولا حياة ولا جاه ولا ال

ان ينكت (الأعجمي) العهد في سفه

فكم له في ذويه العجم أمثال

إن وصف باب بغداد لم يكن وصفاً تقريرياً لهذا النصب وإنما كان عبوراً نحو امتداد حضاري حاول من خلاله أن يرثي مجداً ضائعاً وبناءاً حاول الآخرين هدمه والإبقاء على ما هو مرفوض حضارياً وإنسانياً (أبن العلقمي) ولكن لم يكن ذلك إلا حلماً فلا بقاء إلا لما هو حضاري شاخص، لقد أراد الشاعر ان يذكر حقيقة ان الأجيال لم تحترم أمجاد وحضارة الآباء فتركته مهوداً وأطلالاً يسير من خلالها الشاعر كما سار غيره من شعراء ما قبل الإسلام ووقفوا وبكوا أطلال من يحبون. ان في ذلك إشاعة نزعة الخلاص للإرث الحضاري ولمن أشاد حضارة الأمة في البناء والهندسة وال عمران. ولهذا لم يعد هذا النصب أو الأثر ظللاً عهدناه في حضارة الشعر الجاهلي القديم فقد شخص وسيشخص في قصيدة هذا الشاعر الملتاع لما يرى من هدم ونسي لماضي الأمة في التشييد والحضارة.

## المبحث الثاني

### صورة الطبيعة في بغداد

عانى الشاعر منذ صغره الغربة والتشريد، ففي سنة ١٩١٣م وعمره لم يتجاوز الخمس عشرة كتب قصيدة تعريض بحق قيصر روسيا التي فر على أثرها الى البصرة ملتجئاً الى السيد طالب النقيب الذي عرض عليه إكمال دراسته في القاهرة فأبحر اليها وتقل بين مدارسها ومعاهدها، وكان ما كان من تنقله بين مصر ودمشق، وقد شعر الشاعر بوطأة الغربة حين نفي الى ((ارواد)) عند سقوط الحكم الفيصلي في الشام اذ بقي في منفاه مائة يوم \_ كما بينا في التمهيد \_ حتى انتهى به الأمر بالعودة الى وطنه بعد غربة اذ عمقت هذه الغربة إحساس الشاعر



بالوطن فعكس من خلال صورهِ الفنية معاناته حتى لم تعد الضفاف والشواطئ والبساتين مشهداً للمتعة، بل أصبحت ملاذاً يلجأ إليه بعد أن عانى بما يسمى (الاعتراب المكاني) يقول ريتشاردز ((إن الذي يبحث عنه المصورون في الشعر... ليس الصورة الحسية المرئية ولكن سجلات للمشاهدة أو منبهات للانفعال))<sup>(١٩)</sup>

لم يصف هذا الشاعر الطبيعة في بغداد لأجل الوصف وإنما اتخذ سبيلاً أعلن من خلاله ما حاق بشعبه من ظلم وعدوان ولهذا كانت الطبيعة تتكلم بما يعاني فنجد في العديد من أجزاء الصورة رموزاً تفصح عن المعاناة والغربة ففي قصيدة ((لغة العرب)) التي نظمها في بغداد يوم كان النفوذ الاتحادي سنة ١٩١٣م ونشرت في مجلة (لغة العرب)<sup>(٢٠)</sup> نجد لوحات فنية لدجلة والفرات يعكس من خلالها إشارة واضحة وموازنة لطيفة لجريان الرافدين واستكانة شعبه فهو بعد أبيات يخاطب فيها شعب العراق يقول:

حتّام يا شعب العراق أراك في

لين الذليل وذلة المملوك

ثم ما يلبث بعد أبيات حتى يقول:

أمياه دجلة في العراق لعلماً يجري بغير تعجل واديك

هل سرت يا نهر الفرات بمهلة أم كيف أنت بمائك المتروك

وإليك انهار العراق تريثيان البلاد فقيرة تشكوك

تشكوك من جذب وأنت مفيضة ماء عليها من منابع فيك<sup>(٢١)</sup>

أجاد الشاعر في نسبة الفعل (يجري) لغير فاعله على سبيل المجاز فوادي دجلة لا يجري وإما الجريان لمائه كما انه منح نهر الفرات تشخيصاً مبدعاً حين استخدم الفعل (سرت) في سؤاله للنهر في البيت الثاني ومثله قوله لأنهار العراق (تريثي) في البيت الثالث مما منح الرافدين سمات الإنسان وصفاته ومشاعره والذي يهمننا في الصورة هو الرمز الذي يختبئ خلف هذه الأبيات ففي تخطيط مشهد الرافدين وهما يجريان ببطء إشارة واضحة لبطء شعبه في الثورة وحين جعل الرافدين معادلاً موضوعياً لشعبه فإنه أومئ إلى ان هذا الشعب رافد للخير والخصب والبناء.

وقد أبدع الشاعر في بيته الأخير حين جعل لأنهار العراق فاهاً هي منابع الرافدين على سبيل التشخيص أيضاً.

إن الاغتراب المكاني بعيداً عن وطنه جعله يحن إليه (كما حنت الثكلى الرؤوم الى الطفل)<sup>(٢٢)</sup>.

إن تداعي الذكريات في الغربة تجعل من دجلة والفرات وحفيف الباسقات وضاف الرافدين وجعا نفسياً يشرق من بين كلماته التي صور فيها حنينه حنين الثكلى أو (حنين الأم فارقتها الحوار)<sup>(٢٣)</sup> وهو بعيد في مصر وحين يخاطب دجلة فإنه يصغر اسمها حبا واشتياقا فيخاطبها (دجيل)

يذكرني الماء النмир دجيلها فأمزج كأس الماء بالمدمع الهمل<sup>(٢٤)</sup>

ومثله قوله:

ترى ما أرى لا الدار مني قريبة

ولا الشط في وادي العراق ولا الرمل

ألا ليت شعري هل دجيل كعهدنا

وهل باسقات في بساتينها النخل

وهل أعشبت تلك الرياض وهل لها

على أرضها من خضر أشجارها ظل<sup>(٢٥)</sup>

والحقيقة ان الأسئلة التي يضعها الشاعر في نهاية أبياته هذه وهو يسأل عن حالة النخل الذي تربع فوق ضفاف دجلة أباسق في بساتينها النخل؟ ليختفي وراء تركيبه السؤال عن الحياة وديمومتها والنهوض الذي يجب ان يقوم به الشعب بدليل توكيده في البيت الأخير بالسؤال (هل أعشبت تلك الرياض؟) ولكي تكتمل الصورة التي ينشدها يسأل السؤال نفسه عن ظلال أشجارها الخضر الذي يرمز من خلال تركيبها اللغوي الى المستقر والوطن الأمن الذي لا يشوبه الظلم والاضطهاد.

وهكذا يبقى ظمناً هذا الشاعر شديداً لدجلة فيقول:

ظمئت لماء دجلة وهو صاف وللأسماك عوم وانغمار

وكم من ماء دجلة من شفاء لأنفسنا فأنفسنا حرار<sup>(٢٦)</sup>

إن تصويره الفني للطبيعة المتحركة هي جزء من شعوره بديمومة الحياة وحرثها المستمرة التي لا تعرف السكون.

لم تكن مصر هي المأوى والمستقر والمنفى فعينا الشاعر مشدودتان لبغداد بأزقتها وبساتينها ولهذا وجدناه يكتب عن (رمز العراق) النخلة فلم يصفها وصفا مباشرا تقليديا اذ وصف معاناتها وهي تعيش عدم الاهتمام والرعاية وحين أراد الابتعاد عن التقريرية والنثرية والمباشرة شبهها بالمرأة، ويتخذ من (شجرة النخيل) رمزا لوطنه ويخاطبها ب (يا عمتا) وهو يعتمد قوله صلى الله عليه وسلم (أكرموا عمتم النخلة) وأحيانا يخاطبها (يا أم تمر) وهو يعجب عن جوع أهل بأبناء وطنه وفي تمرها قوت لهم، يقول:

يا أم تمر بنو أعمامنا بطروا ان يأكلوا النبك لا بسرا ولا رطبا  
أنا وأنت سواء من بني وطن فلا نخالف أماً برّة وأباً  
أخوهم نل وابن العم مثل أخ أن لا يكون الى الأسواق مجتلبا  
جاعوا وفي تمرهم قوت وفاكهة وان في عجبي من جوعهم عجا  
إن كان علمك الإنسان سيئة فإنه أفسد الدنيا بما كسبا (٢٧)

وهو يختتم هذه القصيدة بموازنة لطيفة بين المرأة وهذه الفارعة (النخلة) فهذه العمّة (نظمت التمر عقدا) ولم تصبغ وجنة ولم تلبس قصيرا ضيقا لإبداء الزينة  
أنثى ولا كناناث فهي عاشقة عشق العفاف ذوي الأزواج لا العزبا  
شهواء لم تتبرج وهي حالية بألف قرط على آذانها ركبا  
صاغت لها من شعاع الشمس أسورة سرعان ما وهبتها أهلها شذبا  
وهكذا اتخذ الشاعر من وصفه هذه الشجرة سبيلا وعظيا إرشاديا امتزج بجمال وصفه لهذا الشجرة العراقية

ونحن قوم جعلنا التمر ميزتنا وما قضينا لأم التمر ما وجبا (٢٨)  
ويلتقي الرافدان في وطنه جنة عدن، يقول:  
وجنة عدن رافدها تلاقيا عليها فلا جدبا وجدنا ولا خصبا  
فيا عجا من جنة قد تحولت جحيما وأمسى الظلم يعصبها عصبا

وهو في صورته الفنية هذه يعتمد الرافد الديني سعياً منه إلى إضفاء القداسة على وطنه وعلى الرغم من مأساوية المشهد في التعبير عن الاستبداد في قوله (وأسمى الظلم يعصبها عصباً) لم يدر الشاعر ظهره ويهرب من تعسف أهل بقراه وأهله بل أعلن حبه الشديد وإناً وان كانت قفاراً وعطلت قراها ليصيبنا اليها الذي أصبى  
لنا وطن بين الفرات ودجلة هو الوطن المسروق من أهله غصبا (٢٩)

### المبحث الثالث

#### الناس والمدينة

كتب الشاعر عن الناس والمدينة وصور معاناتهم في المراحل المتقدمة من حياته وقد تحسس معاناة الفقراء ورأى ان الأغنياء

نشأوى بالغنى سحبوا ذيولاً وداسوا بالنعال على النطوع (٣٠)

وهذا البيت من قصيدة أطلق عليها (اليتيم الباكي) إذ صور حالة الفقر واليتم في سنوات القهر ١٩٢٢م وما بعدها وقد نظمها بأسلوب قصصي مؤثر وفي قصيدته (مشاهد الأم جننا بها جدا) (٣١) صور لغلاء وقر وسنون مذمومة العيش وهو من الشعراء الذين وقفوا على أماكن المجتمع المظلمة كما هو الحال في قصيدته (المومس) (٣٢) وله قصيدة صور فيها فقيراً رآه في احد أزقة بغداد تعرض فيها الى فكرة كيف ينقلب الدهر بعد حظ عظيم من الثراء (٣٣).

وغنى للحرية ونشدها وكان ينشر قصائده في مجلة اليقين بتوقيع مستعار وهو (سهيل)

وله قصيدة (أيتها الحرية) وقد مجد فيها شعبه ووطنه

لقد أسرفت في حبك جدا ايها الشعب

ويا وطني سقاك العدل لا الماء ولا العجب

...

...

سلام أيها الرمل سلام أيها التراب

سلام أيها الماء متى يهنتنا الشرب

جميع بنيك في ظمأ وماؤك بارد عذب

## سلام أيها البيداء جذب فيك أم خصب (٣٤)

لقد كان هذا الشاعر أحد أعمدة مدرسة شعرية تشابهت في تراكيبها الشعرية وسماتها الفنية (المدرسة الكلاسيكية) التي كان احد أبنائها الشاعر محمد مهدي الجواهري ويكاد صوت هذا الشاعر يتداخل الى حد بعيد مع صوت الجواهري عندما كان يصف هضبات العراق وشطيه والمنحدر.

لقد كانت لغة هذا الشاعر تميل نحو الوضوح والسهولة وتتأى عن المعجم الشعري المستغلق وقد دعت الضرورة أن يتجه الشاعر الى هذا المنحى كونه يخاطب أبناء وطنه وممن يعيش معهم من المثقفين والعامه، وقد وجدناه يستخدم أساليب شعرية تعتمد النقد والتجريح لعمامة من يحيط به لأيقاظ الهمم وإفات الأنظار لما يعيش فيه شعبه وقد تبين ذلك في قصيدته (التائهون)

ليس لنا من وطن تعال نغصب وطنا

فمن هناك أو هنا نغصبه أو ههنا

و كرة الأرض لنا نجعل منها سكنا

ولا نحب بشرا ولا نحب زمنا

أوثاننا أنفسنا والنفس بئست وثنا

ونفسد الأنفس نفثي سرها والعلنا (٣٥)

ويتمادى الشاعر شيئا فشيئا حتى يصل أحيانا الى النقد والسب الجارح سعيا منه لكشف خبايا المساوي في مجتمعه وهو في ذلك يشبه الى حد كبير ما كتب الجواهري في قصيدته (أطبق دجى).

ولأنه في البلد الغريب كثيرا ما يلقي السلام على بغداد (الرصافة والكرخ) وهو حين يذكرها يتذكر فراقها حتى نستطيع ان نوجز حياته بثلاثة ابيات كتبها في ذلك ففي مقطوعة بعنوان (نزعة)

سلام على دار السلام ومائها

سلام على ارض الرصافة والكرخ

بدأت بها شرح الشباب ممتعا



وفي مصر اقضي أسفا باقي الشرخ

وأحسن عندي من قصور منيفة

بمصر، بيوت حول دجلة من مرخ (٣٦)

وبعد هذا كله تشرق بغداد في شعر هذا الشاعر (عروس الشرق) التي:

خطت خريطة الدنيا مرارا وأوشك أن يخط لك السماء

وأنت على الخطوب شعاع شمس وعندك كل كارثة هباء

وقلبك لامع كالأفق حي بدا ولك الخلود به بقاء (٣٧)

وبهذا خط لبغداد مشهد الكبرياء والتحدى، فهي على خطوب الدهر (شعاع شمس) على

سبيل الصورة الضوئية المشعة التي تشع على العالم وتتحدى الكوارث والخطوب بقلبها الذي

شبهه بالأفق الحي المحيط بالعالم.

### الخاتمة ونتائج البحث

شاعر تغرب كأقرانه من شعراء بغداد، عانى الغربة والتشرد وحملته الخطوب من بلد لآخر بعد ان عانى في المنفى بسبب قصيدة قالها بوجه الحاكم المستبد، لم يركن ليأس بل راح يقطع المسافات بين مصر التي أكمل فيها دراسته الأولية وسوريا التي تعلم فيها وأتقن الفرنسية. لقد أثرت الغربة في صورته الشعرية إذ أخذت مكانا بارزا في تصويره لبغداد واثارها وضافها وبساتينها واهلها.

أحب بغداد بغناها وقرها، بقصورها وأكوأها فعكس حالة المجتمع في بدايات القرن الماضي حتى مجيء الحكم الملكي فالعصر الحديث، فكان شعره صورة لمعاناة شعبه. اتسم شعره بتراكيب لغوية جمعت بين القدم والمعاصرة وقد اتضح ذلك جليا في الصورة الشعرية، القدم في استيحاء العديد من الألفاظ والتراكيب القديمة فوقف واستوقف وبكى وأبكى واستخدم المادة البنائية لصورة الطلل القديم فعكس تأثرا واضحا بالتراث الشعري القديم وأبان عن زاد شعري وفكري يربطه بتراث الأجداد فوجدنا في صورته صدى صور الشعر القديم الجاهلي الى جوار صوت ابي تمام والمتنبي خصوصا حين يخطط لمشاهد الحرب فهو شاعر امتلك ناصية اللغة الكلاسيكية التي تهتم بدقائق الصورة وتتوسع في جزئياتها ببناء لغوي رصين، صور بغداد بتاريخها ومجدها وبكى مجدها الغابر حين وقف عند باب بغداد الوسطاني سعيا منه لأيقاظ المشاعر والثورة وخطط لمشاهد ماجدة ذكر بها ما كان من ماضي الأمة وصور الرافدين (دجلة والفرات).

ونجد في تصويره لدجلة والفرات معاناته وهو ينظر اليهما من المنفى والغربة فاصطبغت ملامحها بالألم والحسرة كما انه استخدم الصورة الطبيعية رمزا للثورة والتحدي الذي كان ينشدها، وتقسم حبه بين بغداد ومصر ولكنه كان يحب بغداد بكل ما فيها ويفضل أواخها على قصور مصر.

آمن بالشعب وبالثورة ودعا لمستقبل تتحرر فيه الشعوب من نير المعتدي فكان بحق إنموذجا للشعر الملتزم.

## هوامش البحث ومصادره:

- (١) ينظر الأعلام ، الزركلي، ١٢٨/٥ (ترجمة الشيخ علوان بن عطية بن حسين)
- (٢) ينظر ديوان محمد الهاشمي البغدادي (جمع وإعداد الدكتور عبد الله الجبوري ، ص ١٣)
- (٣) ينظر المصدر نفسه ، ص ١٣-٢٣
- (٤) ينظر الحيوان ، للجاحظ ، ١٣٢/٣
- (٥) ينظر كتاب دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، ص ٢٥٤-٢٥٥
- (٦) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، ص ٣٩٢ ، ص ٣٨١-٤٦٤ ولم يخرج الباحث كما جاء به عبد القاهر الجرجاني من قبله في كتاب دلائل الإعجاز .
- (٧) ديوان محمد الهاشمي البغدادي ، ص ٤٧
- (٨) المصدر نفسه ، ص ١٢٠-١٢٤
- (٩) المصدر نفسه ، ص ١٢٠
- (١٠) ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، تحقيق إحسان عباس ، ص ١٦٨
- (١١) ديوان محمد الهاشمي البغدادي ، ص ١٢١
- (١٢) ينظر الرومانتيكية ، د.محمد غنيمي هلال ، ص ١٣٧
- (١٣) ينظر الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، د. عبد القادر القط ، ص ٣٥٩
- (١٤) ديوان محمد الهاشمي البغدادي ، ص ١٢١-١٢٢
- (١٥) المصدر نفسه ، ص ١٢٢

### المصادر

١. الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٧٩م
٢. الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، د.عبد القادر القط، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٧٨.
٣. الحيوان، أبو عثمان عمرو بن الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، بيروت ط٣
٤. الرومنطيقية، نشأتها، فلسفتها، قضاياها، د. محمد غنيمي هلال، دار العودة، ١٩٧٢
٥. ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تحقيق الدكتور إحسان عباس، مطبعة الكويت، الكويت ١٩٦٢
٦. ديوان محمد الهاشمي البغدادي، جمع وإعداد الدكتور عبد الله الجبوري، دار الحرية للطباعة والنشر ١٣٩٧ للهجرة \_ ١٩٧٧م.
٧. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، د.جابر احمد عصفور، القاهرة، دار المعارف ١٩٧٧م.
٨. كتاب دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شكر، دار المدني بجدة، ط٣، ١٩٩٢م.

٩. مبادئ النقد الأدبي، أ.أ.رتشاردز، ترجمة وتقديم، د.مصطفى البدوي، المؤسسة العامة للتأليف والنشر،

١٩٦٣م

### المجلات

١. مجلة لغة العرب، المجلد الثالث، ١٩١٣م.